



MARRAKECH

جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

مجلة العلوم الإنسانية

خفاف

مجلة علمية محكمة



العدد السابع - 2022

ضفاف

مجلة علمية محكمة

العدد السابع - 2022

مجلة فصلية علمية ومحكمة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة القاضي عياض - مراكش - المغرب

المدير : عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

عبد الرحيم بنعلي

المنسق العام : جمال راشق

اللجنة العلمية

السيدات والسادة الأساتذة:

GRAVARI BARBAS Maria, IREST, Université Paris 1 Panthéon-Sorbonne, France, ELLOUMI Mohamed, INRAT, Tunisie, LAOUNA Abdellah, CERGéo, Université Mohamed V Rabat, DEARBIEUX Bernard, Université de Genève, Suisse, NAVARRO PALAZON Julio, Escuela de Estudios Arabes des Granada, CSIC, Espagne, SKOUNTI Ahmed, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, GIRAUT Frédéric, Département de Géographie, Université de Genève, Suisse, HERNANDEZ ARMENTEROS Salvador, Universidad de Granada, Espagne, BOUBRIK Rahal, Département de Sociologie, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Mohamed V de Rabat, TOZY Mohamed, UMRIP et Sciences po, Aix en Provence, France, PULVAR Olivier, Université Antilles-Guyane, Centre de Recherche sur les Pouvoirs Locaux dans la Caraïbe – CNRS UMR 8053, HILLALI Mimoun, Institut Supérieur International de Tourisme, Tanger, Maroc, PERALDI Michel, directeur de recherche au CNRS et Centre Jacques Berque pour le développement des Sciences Sociales à Rabat (Maroc), BOUMAZA Nadir, Université Pierre MENDES France- Grenoble 2, LANDEL Pierre – Antoine, CERMOSM, UJF, Mirabel – France, PECQUEUR Bernard, Institut de Géographie Alpine, PACTE (UMR CNRS 5194 – Université J. Fourier, Grenoble – France).

لجنة التحرير

السيدات والسادة الأساتذة

عبد الرحيم بنعلي - جمال راشق

سعيد بوجروف - محمد موهوب

عناوين التواصل

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صندوق بريد 3737

أمرشيش - 40000 مراكش - المغرب

الهاتف : 00212524302742 الفاكس : 00212524302039

البريد الإلكتروني : revueflm@gmail.com الموقع : <http://www.flm.uca.ma.ac>

الإيداع القانوني : 2018PE0010

ردمد : 2605-6410

لوحة الغلاف للفنان ماحي بنين

التصنيف والإخراج الفني : صباح القصير

تعبر المقالات عن آراء أصحابها فقط

مجلة العلوم الإنسانية

ضفاف

مجلة علمية محكمة

شروط النشر

- مجلة ضفاف مجلة علمية محكمة تعنى بنشر الأبحاث والأعمال التي تدخل في مجال العلوم الإنسانية.
- مجلة فصلية.
- تنشر المجلة مقالات ودراسات وأبحاثاً أصيلة لم يسبق نشرها ولا تقديمها للنشر.
- تخضع الأعمال المقترحة للنشر لشروط البحث العلمي المتعارف عليها من حيث التوثيق وذكر المصادر والمراجع المعتمدة.
- تعبر الأبحاث المنشورة بالمجلة عن آراء أصحابها.
- تقدم الأبحاث في نسخة مطبوعة ونسخة إلكترونية.
- تلتزم المقالات بالمعايير التقنية للنشر بالمجلة، فتكتب المقالات العربية بخط 14 Sakkal majalla والمقالات بالحرف اللاتيني بخط 11 Times New Roman.
- تكتب الهوامش أسفل الصفحة بخط 10 Times New Roman.
- ينبغي ألا تزيد صفحات البحث عن 20 صفحة.
- يذكر الباحث اسمه واسم بنية البحث والجامعة-المؤسسة التي ينتمي إليها في الصفحة الأولى.
- يقدم الباحث ملخصاً لبحثه مستقلاً عن المقال.
- يكتب ملخصاً للبحث بلغة غير اللغة التي كتب بها.
- تخضع المقالات والبحوث المقدمة للمجلة للتحكيم، ويلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقترحها المحكمون في أجل أقصاه 15 يوماً بعد توصله بها.
- تحتفظ المجلة بحقوقها في عدم نشر أي بحث لا يستجيب لشروطها.
- لا ترد الأبحاث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- تحتفظ المجلة بحقوق التأليف وإعادة النشر الورقي أو الإلكتروني للمقالات المنشورة بها.
- المقالات المقدمة للنشر لا يجب أن تنتهك حقوق مؤلفين أو ملكية أطراف آخرين.

مجلة العلوم الإنسانية

ضفاف

مجلة علمية محكمة

العدد السابع - 2022

إصدار كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة القاضي عياض - مراكش - المغرب

شكر

تتقدم هيئة تحرير مجلة "ضفاف" للعلوم الإنسانية
بخالص تشكراتها لكل من ساهم في إغناء هذا العدد،
كما توجه شكرها الجزيل للأستاذة الأجلاء الذين لم
يتراءوا في قراءة المقالات وتقييمها وتحكيمها.

هيئة التحرير

فهرس المحتويات

- 9..... تدبير تراث الأركان بمنطقة حاحا ورهانات التثمين
هلال عبد المجيد ولالة حسناء المراني
- 33..... مسألة المنهج بين التبسيط والتعقيد في فكر إدغار موران
يوسف التيبس
- 53..... الفترة الحفيفية بالمغرب (1908-1912) من خلال الشعر الملحون
توفيق القبائي
- 75..... اليهود العرب: اللغة والشعر والتميز (مقال مترجم)
فاطمة سحام
- 93..... البعد النقدي في الخطاب الصوفي ابن عربي نموذجاً
محمد أعراب
- الحرية بين الأمر والتكليف في الفضاء العمومي من خلال كتاب: فلسفة الفعل،
115..... دراسة تأويلية نصية
أحمد الفرخان
- 131..... سؤال العلية والمعلولية في فلسفة صدر الدين الشيرازي
عبد المالك بنعثنو
- السلوك الوقائي في مواجهة التهديدات والمخاطر الصحية بين الإقناع العاطفي
والعقلاني - جائحة كورونا نموذجاً-.....
157..... محمد الركيبي

الفترة الحفيظية بالمغرب (1908 – 1912م)

من خلال الشعر الملحون

The Hafizid period in Morocco trough the poetry of Al – malhūn

توفيق محمد لقبايي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، مراكش

t.lakbaibi@uca.ac.ma

Abstract

Al-Melhou'n's poetry is a literary source that is misused in Moroccan university studies, especially in the fields of human and social sciences. In this context, this article aims to demonstrate the importance of this poetry as a reliable historical source to cover the dearth of historical texts and documents including the events of the early twentieth century and especially of the reign of Sultan Moulay Abdelhafid, whose sovereignty was marked by two facts: First, his proclamation as Sultan of Morocco by the beia (act of allegiance) in 1907; and secondly by the act of the protectorate of March 30, 1912. Thus, the poet of Al-Melhou'n did not content himself with writing these events, but to interact, to record and to comment on each anomaly in a critical and analytical way, which allowed Al-Melhou'n's poetry to answer several questions related to this period that preoccupied the historian until recently.

Keys words: Morocco – History and poetry of Al-Melhou'n - the period of Sultan Moulay Abdelhafid.

Résumé

La poésie d'Al-Melhou'n est une source littéraire mal exploitée dans les études universitaires marocaines, en particulier dans les domaines des sciences humaines et sociales. Dans ce contexte, cet article a pour but de démontrer l'importance de cette poésie en tant que source historique fiable pour couvrir la pénurie de textes et de documents historiques y compris les événements du début du XXe siècle et précisément de la période du règne du sultan Moulay Abdelhafid, dont sa souveraineté a été marquée par deux faits: en premier lieu, sa proclamation comme sultan du Maroc par la beïa (acte d'allégeance) en 1907 ; et deuxièmement par l'acte du protectorat du 30 mars 1912. Ainsi, le poète d'Al-Melhou'n ne s'est pas contenté d'écrire ces événements, mais d'interagir, d'enregistrer et de commenter chaque anomalie d'une manière critique et analytique, ce qui a permis à la poésie d'Al-Melhou'n de répondre à plusieurs questions liées à cette période qui préoccupaient l'historien jusqu'à récemment.

Mots clés : Maroc - Histoire et poésie d'Al-Melhou'n - la période du sultan Moulay Abdelhafid.

ملخص

شعر الملحون مصدر أدبي لم يتم استغلاله في الدراسات الأكاديمية المغربية بالشكل الصحيح خصوصا في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية. والهدف من هذا المقال هو إظهار أهمية هذا الشعر كمصدر تاريخي يمكن الاعتماد عليه لتغطية النقص الحاصل في النصوص والوثائق التاريخية. وكذا تبيان دور شاعر الملحون في رصد الأحداث التي عرفتها فترته، ومن ذلك أحداث ووقائع مطلع القرن العشرين الميلادي، ونقصد بهما: بيعه السلطان المولى عبد الحفيظ سنة 1908م، وعقد الحماية سنة 1912م. فشاعر الملحون لم يكتف بتدوين هذه الأحداث بل تفاعل مع مجرياتها، مسجلا ومعلقا على كل شاذة وفازة بأسلوب نقدي تحليلي، واستطاع بذلك الإجابة على عدة أسئلة متعلقة بهذه الفترة والتي استأثرت باهتمام المؤرخ حتى وقت قريب.

الكلمات المفتاحية: المغرب - التاريخ وشعر الملحون - فترة السلطان المولى عبد الحفيظ.

مقدمة

عرف المغرب انطلاقا من نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، انتشارا واسعا للشعر الشعبي المعروف باسم الملحون. وهناك إجماع نقدي شامل يعترف لفن الملحون بالدلالة القوية على الهوية والشخصية المغربية. فهذا اللون من ثقافتنا الشعبية يعتبر ديوان المغاربة مثلما يعتبر الشعر ديوان العرب. وقد شكلت القضايا الوطنية تيمات جوهرية في الملحون المعاصر، وارتبطت بعدة أحداث وأعياد ومناسبات وطنية، كما أبانت عن تفاعل شاعر الملحون شيخ السجية¹ مع ظروف وطنه بكل وعي وغيرة.

وقد نقلت مئات القصائد بطولات المقاومة الشعبية المغربية ضد المستعمر² وهو ما أهل هذا النمط في فترة لاحقة لأن يلعب وظيفة التوثيق والتأريخ الشعبي لفترة من

¹ تطلق صفة شيخ السجية في المغرب على شاعر الملحون الذي يكتب القصيدة.
² عبر شعر الملحون عن قضايا وطنية متعددة مرتبطة بحياة المغرب من قريب أو بعيد، مرة بالتصريح وأخرى بالرمز والتلميح، وهكذا قام شاعر الملحون بدور طلائعي في إذكاء روح الجهاد والمقاومة ضد من تسلطوا على وطنه. وفي هذا الصدد يقول الشيخ الطالب بنسعيد وهو من كبار أشياخ الملحون بمدينة أسفي:

يَا بَدْرُ بَدَيْتَاهُ أَتَجَلَّأْتُورُ وَ قَاسَ أَقْدَرُ قَهَا وَ غَرَبَهَا وَ بَخُورَهَا وَ مَقْرِيسَ
بِكَ جَاذُ الْمَوْلَى بِفَضْلِهِ لَعَلَّى النَّاسَ

بِكَ أَسْعُدُ مَعْرُودًا مَنْ كَانَ فَتْجِيْسَ

بِكَ ذَارَتْ شَدَّ مَسْ الغُلْيَا أَشْرَقَتْ فِي فَاسِكَمَا عبر شاعر الملحون عن تعلقه بمقدسات وطنه، وفي هذا الصدد يذكر الشيخ محمد الرباطي عن العلم المغربي رمز الوطن وعزته.

يَا بَدْرُ أَنْبَا مَنْ لَحَبَّ يَاطْلُوعُ الرَّهْزَا يَا رَايَةَ النَّصْرِ لَحْبِيْبَا

عَجَلِي بُوَصَالِ الْمَحُوبِ

تاريخ المغرب، وإنقاذ بعض فصوله من تجاهل التاريخ الرسمي وإخراج عشرات الأبطال المغمورين من غياهب النسيان. وهكذا لعب شاعر الملحون دور الإعلام في مرحلة أولى، إذ نقلت قصائده حيثيات المعارك التي اندلعت بين المقاومين وجيش الاحتلال الفرنسي في غياب وسائل الإعلام وفي ظل تعتيم سلطات الحماية على أخبار المقاومة المحلية. كما لعب شعر الملحون دور التعبئة الجماهيرية من خلال استنهاض همم المغاربة للانضمام إلى صفوف المقاومة والتحريض على المستعمر في خطاب عاطفي مشحون بالقيم الوطنية والتضحية من أجل الدين والوطن. وتنقل شعراء الملحون بين المدن وفي الأسواق الشعبية وألقوا أشعارهم في المناسبات الدينية والاجتماعية يدعون إلى الجهاد من أجل الأرض والعرض ويتغنون بقيادة المقاومة الشعبية وأبطالها، ناقلين تفاصيل الاصطدامات الدموية بين المجاهدين وجيش سلطات الحماية.

وقد أثرنا الحديث في هذا المقال عن الفترة الحفيفية في تاريخ المغرب المعاصر،
لسببين:

مَا جُئكَ عَنِّي غَالِبٌ مَا حَبِيبُكَ مَوْلًى دُونَ رَبِّ أَغْلِبْنَا
وَاجِبُ الطَّعَا لِلْمَغْلُوبِ
كما دعا شاعر الملحون إلى نبذ الاستعمار ووجه الانتقادات اللاذعة للسلطة الفرنسية، وعن مثل هؤلاء يقول الشيخ محمد الرباطي:
مَذَانُوا سُلْطَانٌ وَلَا نَسَاؤُ أَوْطَانُ خَدُمُوا أَكَا فُحُوا خَدَّ طَانِ
الْمَجْدُ لِلْوَطَانِ وَ التَّارِيخُ اِيَسْجُلُوهُ عَلَى الْجِبْطَانِ
ومثل هذا التنكيل الذي تعرض له شاعر الملحون قبل استقلال المغرب، كان له تداعيات لم تؤثر عليه بل زادت قوة و إيمانا بقضيته الوطنية، فتوسل إلى خالقه بمثل هذا الشعر:
يَا إِلَهَ اسأَلْنِي بِلَهَاشِمِي الْمَجْلِبِ جَزَاءً فَالْحَدَثِ الْيَوْمِ يَا الْيَوْمِ
أَنْفَقْنَا يَا يَوْمُ مِنْ هَذَا الْقَدَا عَمَتْ وَ قَوَاتُ لَهْرَاجِ وَ الْقَتَائِنِ
عَظُمَتْ الْأُمُورُ جَدُّ وَ فَجِي كُرْبَتَا لَا تَنْرَكَا بَيْنَ لَامَتْ لَفْرَاعِنِ
لَا تَحْدِنَا فِي يَدِ مَرِيدٍ غَا يَهْلِكَا يَا عَالَمٌ مَا يَكُونُ وَ مَا هُوَ كَلِينِ
شَهْرُو سِلَاحَ فَوْقَ طَبِيبَتِ عَزْدَا مَا طَلُّوا جَمَرَتِ الْعَدَا وَ أَفْهَمَا لَا عَنِ
أَكْفَا هُمُهُمْ وَ هُمُومُهُمْ لِيَنْبِيْنَ
ومع ذلك لم يأل شاعر الملحون جهدا في تنبيه بني جلدته من غطرسة المستعمر، وبأنه راحل لا محالة؛ وفي ذلك يقول:

لَا تَرْكُنُوا قَالَهَا الْخَلِيمُ فِي الْكُنَابِ وَ السَّائِرِ عَلَى ذَهَبِهِمْ بَاخْتِ عَنْ تَعْدَابِ
هَلْ بَاصِبُ وَرَسْدِيُوا لِكُهُولِ وَ اللَّهِ أَمْرًا عَلَيْهِمْ مَا إِذْ هُولِ
تَجَاوَزُوا فِيلِدِغَاوِ الْخَدِّ وَ بَعَادَهُمْ بِنِي الْيَوْمِ سَدِّ
وَبَجْبُوشَتِهِمْ صَالُوا وَ عَدَاوُ وَ بِأَمْوَالِهِمْ فِي أَرْضَا مَا يَسْوَوِ
مَقَامِهِمْ فِي أَرْضَا لَيْسَ اِيَطُولُ يَا وَيْلَهُمْ مَنْ صَرَحَتْ الدَّاعِي إِلَى يَصُولِ
مَهْبُولِ وَ لَدِ الْمَهْبُولِ الَّتِي يَشُوفُ وَيُكُولِ

أ- تميز عهد السلطان العلوي المولى عبد الحفيظ بن السلطان المولى الحسن (1908 - 1912م)، بحدثين فارقين في تاريخ المغرب؛ ألا وهما البيعة الحفيظية وعقد الحماية لسنة 1912م.

ب- أن التجربة الإبداعية للملحن في هذه الفترة، تحفل بالتعلق بالوطن وتأکید الحب العميق للمغاربة ببلادهم وسلطانهم، والتغني بأمجاد التاريخ المغربي: مقاومة وحضارة ومنجزات... وهذا ما نصبو الوصول إليه، عبر الحديث عن هذا البعد الوطني والإمساك بخيوطه من خلال تقديم وتحليل نماذج وتجارب شعرية تمر بالدلالات الوطنية والمشاعر المغربية الفياضة للحدثين السالفي الذكر، والذين نجم عنهما فقدان المغرب لاستقلاله.

1. التاريخ وشعر الملحن؛ أية علاقة؟

كتب محمد المنوني ما نصه: «... فإذا كانت المصادر التاريخية الموضوعية إنما تهتم باتجاه محدد، فإن المصادر الأخرى تفتح - أمام الباحثين - آفاقا قد تكون فصيحة في الكشف عن ألوان من التاريخ الحضاري، وأحيانا عن حياة الشعوب...»¹ ومن هذه المصادر التي يمكن اعتمادها في كتابة التاريخ الشعر الملحن، على الرغم من كون هذا الفن يمثل تجربة إبداعية انبثقت من وسط شعبي، يشكل الحرفيون من الدَّرَاة والخَيَّاطَة والخَزَّازَة والشَّرَّاطَة... قاعدته الواسعة. ورغم أن الملحن ارتبط بنصوصه واصطلاحاته بمناخ الحرفة في المغرب، فقد عرف تاريخ نظمه شعراء من غير أوساط العامة والحرفيين، بل كانوا مثقفين وسلاطين.

إن شعر الملحن باعتباره ذاكرة المغاربة كما يعيشونها بتلقائيتهم اليومية، هو أقرب من نبض العامة وأوثق صلة بواقعهم التاريخي، اختزنت ذاكرة حفاظه بالعديد من قصائده و"سَرَائِرِهِ"² ورباعياته، تواترت جيلا بعد جيل، باستثناء ما ضاع منها بوفاة

¹ المنوني، محمد، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى العصر الحديث، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1983، ج.1، ص. 8.

² تعرف السراية في أوساط رجال الملحن على أنه قطعة شعرية منظومة بمواصفات خاصة، فمن حيث الشكل تنظم جل الأوزان التي تنظم بها القصيدة الملحونة، فيبدأ الشاعر بـ«أمرمْتُ لَمُوتَ»، فـ«مكسور الجناح»، ثم يختتم بـ«أمرمْتُ السوسي»، ومن هنا تكون الصعوبة في نظم هذا الشكل الفني الغنائي، حيث لا يلم بنظمه إلا شيخ عارف بقياسات القصيدة الملحونة. أما من حيث المضمون، فالسراية تضمنت كل الأغراض التي كتب فيها شاعر الملحن من توسلات ومدح وعشاق ووصف الطبيعة وما إلى ذلك من الأغراض الكثيرة.

ناظميها أو منشديها. كما احتفظت كنانيش الملحون بهذا الرصيد الهائل من هذا الشعر الشعبي الذي رد إليه الاعتبار بعد إنجاز العديد من البحوث والرسائل والأطاريح الجامعية،¹ وتهيأت له أسباب النشر بعناية أكاديمية المملكة المغربية،² أو بمبادرات فردية وغيرها....³

لقد استطاع الشعر الملحون أو العلم الموهوب⁴ أن يتعايش مع العلم المكتوب، كما استطاع أن يجد له مكانا في المظان التاريخية المغربية، ذلك أن العديد من المؤرخين المغاربة اعتمدوا على نصوص من هذا الأدب الشعبي وعلى الخصوص منها الأزجال حيث

وهناك من يرى بأن السراية هي مقدمة للقصيدة، وهذا يكشف عن مدى ارتباط السراية بالقصيدة مضمونيا باعتبارها مقدمة لها حتى ليكاد المستمع يعتقد أنهما - السراية و القصيدة - خرجا من جيب واحد وحسب ما هو متعارف عليه عند رجال الملحون ف« السُرَّابُ أخْرَابِيْن» أي أن غالبيتها لا يعرف ناظمها.¹ ونذكر من هذه الأعمال، على سبيل المثال لا الحصر:

- الجراري، عباس، الزجل في المغرب (القصيدة)، الرباط 1970.
- البصري الفيلاي، منير، الشعر الملحون في آسفي، جمع ودراسة، دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف عباس الجراري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1988، وقد نشرتها مؤخرا مؤسسة دكالة - عبدة للثقافة والتنمية، الدار البيضاء، 2001.
- جنان، عبد الإله، شاعر الملحون الشيخ أحمد بنرقية الأزموري (دراسة لشعره)، دبلوم الدراسات العليا تحت إشراف عباس الجراري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1996.
- AMAR, Abdelaziz, *Le personnage de la femme dans la poésie Marocaine d'expression Arabe – dialectale : Lmalhoun*, Sous la direction de Mr Etienne PIETRI, Paris III, 1990.

دون إغفال العديد من البحوث على مستوى الإجازة في الأدب العربي والفرنسي والإنجليزي التي نوقشت بمختلف الكليات المغربية.

² نذكر هنا الجهود التي قامت بها وزارة الثقافة والمتمثلة في نشر العمل الضخم للأستاذ المرحوم محمد الفاسي، معلمة الملحون، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1986 - 1997.

³ نذكر على سبيل المثال لا الحصر.

- شقرون، عبد الله، نظرات في شعر الملحون، الدار البيضاء، 2000.
- الملحوني، عبد الرحمن، ديوان الملحون، سلسلة أبحاث و دراسات في القصيدة الزجلية، الدار البيضاء 1990 - 1992
- نفس المؤلف، ديوان شيخ أشياخ مراكش الحاج محمد بن عمر الملحوني، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2003.

- سهوم، أحمد، الملحون المغربي، الدار البيضاء، 1995.
- عيلا، الحسن، الشعر الشعبي عند ولاد جلال، إقليم طاطا كنموذج، الدار البيضاء، 1995.
- الكنساني، أحمد بوزيد، تاريخ الزجل الشعبي بتارودانت، الملحون، الرباط، 1993.
- الزرهوني، الكفيف، ملعبة الكفيف الزرهوني، تحقيق محمد بن شريفة، الرباط، 1987.
- شقور، عبد السلام، ديوان أبي الحسن علي شقور، مطبعة الطوبرس، 2000.
- الحراق الحسني، محمد بن محمد، ديوان الحراق، مكناس، دون تاريخ.
⁴ يطلق رجال الملحون على الشعر اسم علم الموهوب، بمعنى أن المقدرة على التعبير الشفوي لا تكتسب بالتعلم وإنما هي منحة وعطاء من الله وموهبة منه، لذلك يسمى هذا الشعر سجية ويسمون الشعراء أشياخ السجية. انظر:

- الفاسي، معلمة الملحون، مرجع سابق، الجزء الأول، القسم الأول، ص. 114.

أفادوا منها واستشهدوا بمتونها، وخصصوا لها حيزاً في مؤلفاتهم.¹ وقد أدرك محمد المنوني كنه الشعر الملحون وقيمته الأدبية والتاريخية، فأوجز ذلك في كلمات، إذ قال: «ولعلنا سنجد في هذا النوع من الشعر من دقة الوصف ما لا نطمح أن نجده عند شاعر أو كاتب بالعربية الفصحى».² وعلى هذا الأساس تتجاوز تلك «العجرفة الفكرية التي وجدت عند العديد من المؤلفين والكتاب والمفكرين، والتي لم تكن تخلو من روح طبقية ... تصنف الناس إلى فئتين: خاصة و عامة، نخبة و دهما».³ وإن كان بعض شعراء الملحون لا ينتمون بالضرورة لفئة العامة، بل ينتمون إلى أوساط النخبة المتأدبة كالأولياء والسلطين والأمراء والعلماء والأدباء و بعض المؤرخين.⁴

إن شاعر الملحون ليس مؤرخاً بالمفهوم العلمي المتداول، فهو يسجل الأحداث والوقائع ككاتب حوليات Chroniqueur يحذو في غالب الأحيان حذو المؤرخ في ترصده للأحداث والوقائع التاريخية، المفرض منها والمحزن؛ بالإضافة إلى تدوين الكوارث الطبيعية

¹ ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، القاهرة، 1966 / ابن عسك الشفشاوني، محمد، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، نشر وتحقيق محمد حجي، الرباط، 1976 / الضعيف الرباطي، محمد بن عبد السلام، تاريخ الضعيف أو تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق أحمد العمري، الرباط، 1986 / القادري، محمد بن الطيب، نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، 1986/الناصرى، أحمد بن خالد، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدر البيضاء، 1997/ الزعفراني، حاييم، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب: تاريخ - ثقافة - دين، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، 1987.

² المنوني، محمد، ركب الحاج المغربي، تطوان، 1953، ص. 16.

³ زنيبر، محمد، أمثال الأندلس، ضمن مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد 1، سنة 1، يناير 1977، 251 - 271.

⁴ من الأولياء المتصوفين الزجالين الذين نظموا الملحون، نذكر:

عبد الرحمن المجذوب، امحمد الشرقي، أبو عبيد الشرقي، محمد بن يحيى البهلول، عبد الله بن محمد الهبطي، أحمد بن خضراء، عبد الوارث البصلوتي، محمد بن ريسون، أحمد بن غلال الشرايطي، عبد القادر العلمي، محمد الحراق، أبو الحسن علي شقور ...

* من السلطين والأمراء، نذكر:

المولى عبد الله بن اسماعيل، سيدي محمد بن عبد الله، المولى عبد الرحمن بن هشام، سيدي محمد بن عبد الرحمن، المولى عبد الحفيظ، الأمير زيدان بن السلطان المولى إسماعيل، الأمير المأمون بن السلطان المولى الحسن.

* من الأدباء و المؤرخين، نذكر:

الوزير محمد بن إدريس العمرابي (ت 1847م)، التهامي المدغري، الحاج إدريس السناني الحنش (ت 1901م)، الإخباري محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي (ت 1818م)، المؤرخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي (ت 1897م).

* من الفقهاء، نذكر:

الفقيه ابن ابراهيم الحرار، الفقيه لعلو، الفقيه الدفالي، الفقيه الزراق، الفقيه سيدي محمد بن العربي المراكشي، الفقيه محمد العواد، الفقيه غرنيط، وغيرهم ...

والأزمات الاقتصادية وغيرها بعفوية وبأسلوب زجلي موازي ومواكب للنص التاريخي أو مكمل له تارة أخرى بدقة وإسهاب في الوصف. فالشاعر يقف عند أدق التفاصيل والجزئيات التي قد يغفل عنها أو لا يتطرق إليها المؤرخ البتة، مقتصرًا على التركيز والاختصار.¹ فإلى أي حد يمكن القول، إن قصيدة الملحون تضطلع بدور المساعد والمكمل للوثائق والمراسلات المخزنية وآداب المناقب والنوازل والرحلات والمسكوكات والنقيشات واللقى الأثرية؟ وكيف لها أن تصبح مصدرا للكتابة التاريخية ورافدا من روافدها «التي لا ينبغي إهمالها بالمرّة، ما دامت طبيعة البحث التاريخي أن لا يهمل المؤرخ أو يزدرى أيا من المصادر».²

في هذا الإطار يندرج هذا المقال لتبيان دور شاعر الملحون في رصد الأحداث التي عرفت فترته ومن ذلك أحداث ووقائع مطلع القرن العشرين الميلادي، ونقصد بهما: بيعه السلطان المولى عبد الحفيظ سنة 1908م، وعقد الحماية سنة 1912م. فشاعر الملحون لم يكتف بتدوينها، بل تفاعل مع مجرياتها، مسجلا ومعلقا على كل شاذة وفازة بأسلوب نقدي تحليلي كما سنرى.

2 - البيعة الحفيظية سنة 1908 وشعر الملحون

تتفق جل المصادر التاريخية على أن شخصية السلطان المولى عبد الحفيظ³ شخصية غير عادية، تولى الحكم في ظروف غير عادية، وفرضت على المغرب في عهده

¹ خيالي، عبد المجيد، السيرة البيبلوغرافية للمولى عبد الحفيظ بن الحسن العلوي سلطان المغرب (1907 - 1912)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2014، ص. 365.

² المنوني، محمد، الكناشات المغربية ودورها في الكشف عن الدفائن التاريخية، مجلة المناهل، العدد 2، السنة 2، مارس 1975، ص. 202.

³ المولى عبد الحفيظ بن الحسن الأول، ازداد سنة 1876م، تلقى تعليمه ببلاد أحمر نواحي أسفي حيث حفظ القرآن وعدة متون فقهية ولغوية، فصار عالما متبحرا وأديبا متمكنا وشاعرا ناظما مقتدرا، يظهر ذلك من خلال مؤلفاته في علوم اللغة والفقه والحديث والشعر والفكر والسياسة والتاريخ. وكان يحظى باعتبار خاص عند أحمد بن موسى، فالوزير الصدر كان هو المشرف على تعليمه هو وإخوته. ولعب قبوله مبكرا ببيعة أخيه الأصغر المولى عبد العزيز دورا مهما في حظوته لدى باحماد، وبالتالي تكليفه بمجموعة من المهام والوظائف التي انتهت به إلى تولي منصب الخلافة عن أخيه السلطان بعاصمة الجنوب مراكش، فاستفاد من المصاعب السابقة والأخطاء المرتكبة في التدبير من طرف المخزن العززي ومن تزايد نفوذ القواد الكبار بالحوز وتدبيرهم للمكاند والدساس واستفادتهم من عدم تجزيء إياهم زمن السلطان الحسن الأول كما فعل مع قبائل الشمال، ومن عجز السلطان عبد العزيز عن الحد من تزايد نفوذهم خاصة بعد استفادتهم من ثورة بوحمارة. كما استفاد المولى عبد الحفيظ من تشديد القيضة الأجنبية على البلاد خاصة بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء 1906م، واحتلال كل من وجدة والدار البيضاء سنة 1907م من طرف القوات الفرنسية التي وضعت المغرب بين فكي كماشة. وهذا الحدث الأخير هو الذي سهل لعبد الحفيظ مهمة العبور نحو كرسى

ضغوطا إمبريالية قوية انتهت بإرغامه على قبول الحماية، ولهذا تعرض عهده إلى تضارب الأحكام والتقييمات التي أرسلت فيها الأقوال على عواهنها، وغابت الحقائق أو غابت عن عمد أو قصور، سواء من طرف المحتلين الذين عانوا من صمود الرجل أو من المخالفين له.¹

لقد تعددت الكتابات التي تطرقت لشخصية المولى عبد الحفيظ ولبيعته، سواء باللغة العربية² أو باللغات الأجنبية،³ حيث ركزت على موقف النخبة من هذه البيعة،

-
- العرش، خاصة بعد عزز الجالس عليه آنذاك في التصدي للقوات الفرنسية. عن سيرة السلطان المولى عبد الحفيظ. انظر:
- ابن زيدان، عبد الرحمن بن محمد، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة 2008، ج. 2، ص. 108 - 109.
 - نفس المؤلف، الدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، 1937، ص - ص 117 - 125.
 - ¹ الخديمي، علال، الحركة الحفيظية أو المغرب قبل فرض الحماية الفرنسية، الوضعية الداخلية وتحديات العلاقات الخارجية 1894 - 1912، الرباط، 2009، ص. 7.
 - ² نذكر من هذه الكتابات ما يلي:
 - اكتينج، العربي، آثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المغرب بقبيلة بني مطير، رسالة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ تحت إشراف أحمد التوفيق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1983 - 1984.
 - بياض، الطيب، المخزن والضريبة والاستعمار، ضريبة الترتيب 1880 - 1915، إفريقيا الشرق - الدار البيضاء، 2011.
 - التوفيق، أحمد، تأملات في البيعة الحفيظية، ندوة المغرب من العهد العزيري إلى سنة 1912م، الجامعة الصيفية - المحمدية، يوليو 1987، ص - ص. 335 - 347.
 - الحجوي، محمد بن الحسن، انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم ح 123.
 - الخديمي، علال، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب 1894 - 1910 حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، الدار البيضاء، 1994.
 - نفس المؤلف، الحركة الحفيظية أو المغرب قبل فرض الحماية الفرنسية، الوضعية الداخلية وتحديات العلاقات الخارجية 1894 - 1912، الرباط، 2009.
 - ريكور، بول، الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة وتقديم وتعليق جورج زيناني، بيروت، 2009.
 - السباعي، محمد بن إبراهيم، البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد بعض مآثر السلطان مولانا أبي الحسن، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم د 1446.
 - عياش، جرمان، أصول حرب الريف، ترجمة محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التمساني خلق، الدار البيضاء، 1992.
 - فيبر، كابريل، في صحبة السلطان، ترجمة عبد الرحيم حزل، جذور، 2003.
 - كليين، بيير، الاقتراضات المغربية 1902 - 1904، تعريب المصطفى برونسي، الرباط، 2007.
 - المشرفي، محمد، الحل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، دراسة وتحقيق بوهليلة إدريس، الرباط، 2005.
 - المنصوري، أحمد، كيار العنبر من عظماء زيان و أطلس البربر، تحقيق محمد بن الحسن، منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير، 2004.
 - ³ - نذكر من هذه الكتابات ما يلي:

وأثبتت فتوى علماء فاس في النازلة العزيرية.¹ فقد بوع بوع السلطان المولى عبد الحفيظ بمراكش في 6 رجب 1320هـ/16 غشت 1907 بعد خلع أخيه المولى عبد العزيز،² وأرخ أول إفتاء في هذه النازلة ب 6 شعبان 1325هـ/ 13 شتنبر 1907م³، لكن لماذا كان خلع المولى عبد العزيز ومبايعة أخيه المولى عبد الحفيظ أمرين مشروعين؟ يعلل الفقهاء المراكشيون المشروعية بالقول: إن المولى عبد العزيز وأهل ديوانه «أفسدوا جميع ما تولوا إذ ليسوا أهله».⁴ ويتجسد منشأ الفساد -من منظورهم الخاص- في المظاهر الستة الآتية:

-
- ALLAIN, Jean Claude, *Agadir 1911, une crise impérialiste en Europe pour la conquête du Maroc*, Paris, 1976.
 - ARNAUD, Louis, *Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912*, Casablanca, 1952.
 - BEKRAOUI, Mohamed, *La révolte de Bou Hmara (L'homme à l'ânesse), contribution à l'histoire précoloniale du Maroc*, thèse de 3ème cycle, Université de Poitiers, 1980.
 - BURKE, Edmund III, *Prelude to protectorate in Morocco, pre-colonial protest and resistance 1860 – 1912*, University of Chicago press, 1976.
 - HARISS, Walter.B, *Le Maroc disparu*, Paris, 1929.
 - HOUEL, Christian, *Mes aventures Marocaines*, Casablanca, 1954.
 - HUBERT, Jacques, *Les journées sanglantes de Fès*, Casablanca, 1926.
 - JULIEN, Charles, *Le Maroc face aux impérialismes (1415 – 1956)*, Paris 1978.
 - LAROU, Abdellah, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme Marocain (1830 - 1912)*, Casablanca 1993.
 - RIVET, Daniel, *Lyautey et l'institution du protectorat Français au Maroc (1912 – 1925)*, Paris, 1988.
 - SAINT – AULAIRE, Le comte: *Au Maroc avant et avec Lyautey, extrait des mémoires de l'ambassadeur*, Paris, 1954.
 - WEISGERBER, Dr .F, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947.

¹ المنوني، محمد، مظاهر يقظة المغرب الحديث، بيروت، 1985، ج.1، ص.ص. 340 - 341.

² أمضى ذلك الخلع وهذه البيعة قواد مخزنين استفادوا من مرحلة حكم الحاجب القوي أحمد بن موسى، انظر.
- LAROU, Abdellah, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme Marocain (1830 - 1912)*, Casablanca 1993, p. 392.

والجدير بالإشارة أيضا أن المولى عبد الحفيظ أقام علاقات جديدة، ليس فقط مع التجار بل أيضا مع الفقهاء، وأبرزهم محمد بن عبد الكبير الكتاني الذي أخبره شخصيا بخبر الخلع، وفي هذا يقول: «الشيخ الأجل العارف بالله تعالى الولي الكامل الشريف البركة (...) وأعلمناك بهم لتأخذ حظك من الفرح وتوجه بيعتك لشريف حضرتنا، سائلين منكم صالح الأدعية بإعزاز هذا الدين الشريف وتأييده، وإعانة جنابنا على القيام بأمور المسلمين». انظر:

- الكتاني، محمد الباقر، ترجمة الشهيد محمد الكتاني، الرباط، 1962، ص. 193.

³ المنوني، مظاهر ... مرجع سابق، ج.2، ص. 358.

⁴ نفس المرجع والجزء والصفحة.

أ - موالاة الكفار و«بعض أجناس الأجانب حتى عقدوا شروطا تؤدي إلى إدخال المسلمين تحت حكمهم».¹

ب - نبذ شروط صحة الإمامة، من ذلك العدالة، إذ الفسق من موجبات الخلع؛² ومن ذلك أيضا عدم الأهلية لأن المولى عبد العزيز تولى الإمامة، وهو لا يدري معناها، «فأكب عليه بعض ممالك أسلافه وجعله تحت حكمه فأقامه للرعية ظاهرا ومنعه من الاطلاع على شيء ما، فكأنه لا زال تحت حضانة والديه بحيث لا دخل له في أمر ما».³

ج - إسناد مهام الأمة سواء في حفظ دينها أو في تنظيم دنياها إلى غير الأكفاء، فاعتقد السلطان عبد العزيز خطأ، «أن قيام الملك بهم خاصة فتركه لهم كما كان لمن قبلهم (...) صرفوا همهم لتشييد البناءات والتظاهر بها وتزويق الحيطان».⁴

د - استبدال أركان الشريعة، ومنها ركن الزكاة «بأضدادها من قوانين الكفرة القبيحة الشنيعة»⁵، والمقصود بذلك ضريبة الترتيب من جهة وإحداث البنك المؤدي إلى الربا من جهة أخرى.⁶

هـ - احتلال مناطق من البلاد المغربية، ومنها وجدة «بلا صلح ولا عنوة بل مجاناً».⁷

¹ الزواني، محمد بن الحسن، الحماية جنائية على الأمة، ترجمة أحمد بنجلون، بيروت 1994، ص 175 - 176.

² ينظر أيضا إلى:

- مؤلف لعلماء مراكش في مشروعية قيام المولى عبد الحفيظ على أخيه وبيعته، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم د 3937، ص. 5.

³ المقصود هنا الحاجب أحمد بن موسى. ينظر في شأن أسباب الخلع عند فقهاء السياسة السلطانية، فالباقلاني أوجب الخلع عند حدوث أمور منها كفر بعد إيمان، ومنها تركه إقامة الصلاة والدعاء إلى ذلك، ومنها عند كثير من الناس فسقه وظلمه بغصب الأموال وضرب الأبرار وتناول النفوس المحرمة وتضييع الحقوق وتعطيل الذود. انظر:

- الباقلاني، أبو بكر بن الطيب، التمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة والروافض والخوارج والمعتزلة، تحقيق محمود الخضري، دار الفكر العربي، دون تاريخ.

⁴ مؤلف لعلماء مراكش في مشروعية قيام المولى عبد الحفيظ على أخيه وبيعته، ص. 5. ولعل هذا كما يبين الفقيه محمد بن الحسن الحجوي هو الذي أظهره في مظهر الضعف، وليس كما قيل ولعه بركوب الدراجة ولا صبغه جدران القصر بألوان مخصوصة لأن هذا لا يصدر إلا من «رعية جاهلة بسيطة التفكير». انظر:

- الحجوي، محمد بن الحسن، انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم ح 123، ص. 9.

⁵ مؤلف لعلماء مراكش... مصدر سابق، ص. 6.

⁶ الكتاني، مرجع سابق، ص. 195.

⁷ الحجوي، مصدر سابق، ص. 9. وقد ألف شاعر الملحون هاشم بن بو بكر السعداني الفاسي قصيدة زجلية بعنوان «أذخول وُجْدًا» وهي المعروفة بـ«قصيدة وجدية المخبرة عن الذ أسرار الوهيبية». وهذه القصيدة

تُورخ لاحتلال مدينة وجدة وتعتبر مرجعا هاما للباحث في فترة احتلالها، وهي رائعة وطويلة، بلغ عدد أبياتها ما يقرب من مائتي بيت في 22 قصما على وزن «المبيّات»، فرغ من نظمها في رمضان 1325هـ/1907م، كل قسم من خمسة أبيات مزدوجة مع تقديم كل قسم بما يعرف باسم "العروبي"، وهو هنا يتركب من أربع أشطار، مع إضافة شطر خامس يسمى بـ"الردمة"، هذا فضلا عن مدخل القصيدة في خمسة أبيات مزدوجة، وعن اللازمة التي تلي المدخل، ثم تتكرر عند خاتمة كل قسم، وهي التي تحمل عنوان "الحربة". وذكر كولان في تقييد له بأن هذه القصيدة، مطبوعة على الحجر بفاس في 12 صفحة من الحجم المتوسط. انظر:

- الفاسي، محمد، معلمة الملحون، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1986-1997، ج.2، ص. 349-350. والغرض من هذه القصيدة هو التشهير بالمحتل وأعدائه، والمناداة بالدعوة إلى الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي الذي هاجم مدينة وجدة سنة 1907م، وإثارة نخوة المعنّين بالدعوة، مع التنديد بالمسؤولين الذين أهملوا واجب الدفاع عن الإسلام. ثم بسط الأمل في جمع الكلمة لاسترداد هيبة المغرب واسترجاع أجزائه المغتصبة، تقول هذه القصيدة التي تفتتح بمدخل يلمح إلى موضوعها هكذا:

بَا لَمْوُجُوْذُ فُضِيْقُ مُحَانْ كُلْ شَدَا ۞ يَا لَمْغِيْثُ إِلَيَّ دَا فُضِيْقُ لَنْكَادُ
فَرَجْ عَلَيْنَا مِنْ غُلْبِ لُعْدَا ۞ وَيَدُ لَيْسْلَامُ وَلَهُمُ الْعَرْ بَجَهَادُ
وهنا تأتي لازمة القصيدة التي تقول:

يَا لَيْسْلَامُ ابْكِيْ عَلَى دُخُوْلِ وَجْدِ ۞ دُونُ حَيٍّ غَدَمَهَا لَوْ وَلُنَا لَ الْمَرَادُ
رَابُ لَنْصَوَارُ وَنَدْخُلُ رُصَامُ الْعَرْ ۞ وَكُوسِيْ وَبِ الْهَوَانِ فِيهَا كُلْ اعْزِيْزُ

إن كلمة «دون حرب» التي يرددها هاشم السعداني في لازمة قصيدته - وهو شاهد عيان على هذه الحادثة - تؤكد لنا ما جاء في التقارير المغربية والأجنبية. انظر مثلا:

- الحجوي، مصدر سابق، ص. 9.

- BLUYSEN, Paul, *L'occupation d'Oujda*, in répertoire des archives du Maroc, série 3H (1877- 1960), fascicule 1, Château de Vincennes – Paris 1982, p. 280.
- MOUGIN, Louis, *Oujda : histoire - organisation - commerce*, in renseignements coloniaux et documents publiés par le comité de l'Afrique Française et le comité du Maroc 1906.

وبعد هذا تخلص القصيدة الزجلية إلى إيقاظ الشعور وإثارة الحمية المغربية:

كَيْفَ يَرْضَى بِالذَّلِّ إِلَيَّ اللَّهُ عَرُو ۞ بِعَرْدِيْنِ لَيْسْلَامُ عَلَى الْيَأْنِ مَعْرُوْزُ
وينتقل السعداني إلى تنكير مخاطبيه بأن الأعمار محدودة والأشياء مقدرّة تقديرا.

مَا يَمْوُتُ فَالْوَرَى مَخْلُوْقٌ دُونُ لَجَالِ ۞ لِيَكُوْنُ فَوْسَطُ الْغُلْبِ مَا يُوَصِّلُ

ولا ترى القصيدة الشعبية حلا لهذه المعضلة إلا بالجهاد، فتنادي بالدعوة إليه وتبرز مزاياه، فتقول:

مَا بَقِيَ إِلَّا الْعَرْ أَيَا جَمِيْعٍ لَيْسْلَامُ ۞ شَدَّ مَرُّ الْجِهَادِ تُعَمِّكُمُ كُلَّ حَرَمُ

ويلح الشاعر السعداني على جمع كلمة المغرب في هذه المعركة الوطنية ويجعل ذلك موضوع "عروبي"، يقول فيه:

لَوْ كَامَ الْعَرْبُ مَجْمُوعَ الْكَلَمِ ۞ يَذْهَبِي بَذَوْهِي الرِّزْقَا جَمِيْعَ الرُّومِ
لَكَانَ تَهْلُكُ مِنْ دَعِ قَسْمَا

أُوَيْخُ إِلَيَّ طَغَى وَجَالِمْهَاءُ يَحُومُ ۞ عَلَيْهِ يَصِيْحُ لَغْرَابُ وَصَوْتُ الْبُومِ

وتترجى القصيدة في آخرها قيام حاكم قوي يعيد للمغرب عزّه وهيبته، تقول:

يَا لَمْوَلَى أَيْدِ لَيْسْلَامُ بَهْمَامِ ۞ هَمْتُ مَصْرُوفَ فَالْعَرْ مَجْدُ فَخِيْمِ

يرتقي به الغُربُ فَعَزُّ كُلِّ نَتَظَامِ ۞ يَنْدُكُرُ مَا بَيْنَ الدُّوَلِ رَاسِخَ عَظِيْمِ

ارجع إلى هذه القصيدة كاملة عند:

المنوني، مظاهر ... مرجع سابق، ج.2، ملحق 80، ص - ص. 512-524.

كما نجد في الشعر الفصيح ما يؤكد الطرح السابق وذلك من خلال قصيدة فصيحة لشاعر مجهول رثى بها مدينة وجدة بعد دخول الفرنسيين إليها مطلعها:

وَجْدُ تَسْعَرُ فِي الْأَحْشَاءِ وَالتَّهْبَا ۞ مُذْ قِيلَ رُكْنٌ مِنَ الْإِسْلَامِ قَدْ ذَهَبَا

لَهُ عَلَى وَجْدَةٍ قَدْ أَسْلَمَتْ حَرَا ۞ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَلَا قَتْلٍ وَلَا حَرْبَا

و - نهب الأموال وتبذير بيت مال المسلمين بما لا يرضي الله تعالى، «فقد باع البلاد وهان الرقاب (...) فغاية ما صنع بأموال المغرب أن فرقها بين من كان يجتمع إليه من الرعايا الذين لم يظهروا قط بمظهر الكمال». كما سفك الدماء وقطع السبيل، أو لنقل بكلمة جامعة اختل نظام الوجود المجتمعي حتى عميت على الفقيه في نوازل «الأدلة التي يحصل الاحتجاج بها على المذهب»¹.

إن مظاهر الفساد هذه لا يمكن محوها إلا بإمام تتوفر فيه شروط عقد الإمامة؛ وقد توفرت بشهادة الفقهاء المراكشيين وأشرافهم وأعيانهم ومن هم دون ذلك، في المولى عبد الحفيظ، أو على الأقل توفرت في هذا الأخير «الشروط الممكنة في الوقت»، واتفق الجميع على تسجيل بيعته وعقدها هنالك مع التصريح بخلع أخيه المولى عبد العزيز الذي كان قبله.²

كانت بيعة المولى عبد الحفيظ سنة 1908م بيعة مشروطة، لأن العلماء بايعوه على أساس شروط في مقدمتها إلغاء شروط معاهدة الجزيرة الخضراء سنة 1906م التي أعطت للأجانب حق التدخل في شؤون المغرب، واسترجاع ما اغتصبه الأجنبي من حدوده وتحرير الثغور المغربية، مع تطهير الإدارة المغربية وإحداث مجلس شوري يمثل الأمة، «وإن دعت الضرورة إلى اتحاد أو تعاون فليكن مع إخواننا المسلمين كآل عثمان و أمثالهم من بقية الممالك الإسلامية المستقلة»³.

أما موقف العامة من المغاربة والذين كان لهم دورا فعالا في البيعة الحفيظية، وخاصة الحرفيون منهم، فقد عبر على لسانهم الشيخ هاشم السعداني بن بوبكر⁴ في

وهذا هو القسم الموجود من هذه القصيدة، أورده المرحوم محمد المنوني في مقاله عن المصادر التاريخية للمغرب الشرقي في القرن 19م، ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، 1986م.

¹ جريدة السعادة، 17 غشت 1907.

² من نص الإفتاء في مشروعية خلع السلطان المولى عبد العزيز، نقلا عن مظاهر يقظة المغرب للمنوني، ج.2، ص. 358.

³ ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس ...، مصدر سابق، ج.1، ص. 523.

⁴ هاشم بن بوبكر السعداني، فاسي الأصل وجدي الإقامة، وهو شيخ أشيخ الملحون بفاس ونواحيها سنة 1932م. توفي بنفس المدينة سنة 1933م. كان نموذجا لشعراء الملحون الذين استجابوا للنداء الوطني، فأرسلوا بنائق كلماتهم صوب رؤوس جماعة من الخونة الموالين للاستعمار، فنظمو عددا من القصائد الزجلية لاستنهاض همة المواطنين المخلصين. انظر:

- الفاسي، مرجع سابق، ج.2، ص. ص 349 - 350.

- نفسه، ج.3، ص. 143.

قصيدة يعرض فيها الحithيات والظروف الزمانية والمكانية التي تم بها عقد بيعة أهل فاس (فاتح ذي الحجة 1325هـ / 5 يناير 1908م)، وهي بيعة جاءت متأخرة بأربعة أشهر على قيام المولى عبد الحفيظ (بيعة مراكش 6 شعبان 1325هـ / 30 شتنبر 1907م) والتي نصت على الشروط المتقدم ذكرها، كما تضمنت هذه القصيدة الدعاء للسلطان المولى عبد الحفيظ، منوّهة بكفاءته العلمية وبشجاعته وإقدامه، مبتهلة إلى الله أن يكمل رجاءه للذود عن حوزة الوطن، وهذه حريتها:

الله ايدؤم العزّ والنصر والفتح المبين للهّمّ الحساني
السلطان المخصوص بالعناية مولاى حفيد
عزّلوا من صلّ ولا ادرى ايدبّر أمر لعباد بالشّرع يالخواني
نظّروا إمام افضيل عدلّ بقي عالم امجيد
ايقوم بأمر الدين بالسياسة ولّعقل الرّاجح لفطين ودهقاني
اجتمعت كلمتهم بالنّصر لمولاى حفيد
عقدوا لى البيعة ف «كط» (29) قعدة فضريح إمام غربنا نور عياني
أبو العلّاء ادريس بن ادريس راّه الله اشهيد
من علينا المولى لكريم قام الأمير العالم الشريف الرّبّاني
بالعلم اللّدي احماه ربّي ما مثلو سيد (...)
كملّ يامولانا ازجا الأمير يامر ابليجهاذ جمع البلداني
يغزي الكفار الطّاغيين ويبدّدهم تبديد
إلى أن يقول مؤرخا قصيدته:

تاريخ الحلة عام «كه نشر» خ «لك» (1325) فنظام قيد في علواني
فتمام القعدة هاكها اعروسة بالحسن اثميد

وفي قصيدة ثانية عنوانها سبب النصر لنفس الشاعر، يتطرق بكثير من التفصيل والتدقيق للأسباب التي مهدت لعقد البيعة الحفيظية، واصفا الحالة التي كانت عليها مدينة فاس قبل وبعد عقدها، مشيدا بالدور الذي لعبه العلماء في هذه النازلة وإجابتهم عن سؤال في شأن السلطان المولى عبد العزيز، وجهه لهم ممثلو سكان فاس بزعامة ابن الوافي¹، تقول حربة القصيدة²:

جَادَ رَبِّي عَطْفُ عَنَّا امْكَلِّغَ الضَّيِّمِ
سَيِّدَنَا مَوْلَانَا إِدْرِيسَ تَاجَ لُكْرَامِ
اسْفَرَ تَاجَ لُكْرَامٍ عَن اسْعِيدِ الْكُفِّ
وَطَلَّبَ نَعْمَ لَكْرِيمَ فَالْلُّطْفُ الْخَافِي
وَعُطَاهُ اللَّهُ كَيْفَ يَنْبَغِي يَتَصَرَّفُ
يَدْرُكُ نُورَ لَسْلَامٍ لَا يَضَعِي طَافِي
وَبَزَزَ لَمَنَاهُجَ الصَّلَاحِ ابْنَ الْوَافِي

ثم يواصل في وصف الحالة:

قَامَتِ الدُّنْيَا وَلَاحَدٌ كَانَ يَعْرِافُ
زَالَتْ أَرْسَامُ الْمُلْكِ وَلَا ابْقَاتُ كُلِّفَةِ
وَرَاجَتْ الْقُومُ وَسَامَ قَلْبُهُمْ تَرْجَافُ
وَلَا انْهَيْتَ تَاجِرُ وَلَا اخْدِيمَ حَرْفَةِ

¹ هو الشريف مولاي إدريس بن الوافي الإدريسي القيطوني الزرواطي أو الزرواوطي، من أعيان حومة الأندلس بفاس وهو من الموقعين على السؤال المذكور، انظر: - الوزاني، محمد حسن، الحماية جنابة على الأمة، ترجمة أحمد بنجلون، بيروت 1994، ص. 175. وقد مدحه الشيخ عبد الهادي العامري في قصيدة من سبعة أقسام، حريتها.

عَزَّ رَبِّي الْمَاجِدَ بِحَزْ الصُّفَا وَلَوْفَا ۞ الدَّيْسِي مولاي إدريس بن الوافي ذاكرة المهام التي رشح لها، من شيخ الحومات للدفاع عن مدينة فاس والمسؤول المكلف بتنظيم الحراسة داخل المدينة، إلى أن أصبح حاكما بفندق النجارين، وهو الذي أمر ببعث نص بيعة أهل فاس إلى السلطان المولى عبد الحفيظ

² وهذه القصيدة الملحونية في بيعة السلطان المولى عبد الحفيظ تحت عنوان «بَيْعُ مَوْلَانَا عَزَّ الدَّيْسِي»، مطبوعة على الحجر ضمن عدة قصائد في آخر مجموع رقم الكتاب 3929، الخزنة الحسنية، نقلا عن: - خيالي، عبد المجيد، مرجع سابق، ص - ص. 366 - 368.

وفي الأبيات الأخيرة نستشف الحس والوعي التاريخيين لدى الشاعر السعداني
حينما يقول بصفته شاهد عيان:

خَبَرْتُ أَفْحُلْتِي كَمَا رَيْتُ وَسَمَعْتُ
وَالْعَاقِلُ مَا أَحْقَاهُ قَصْدُ الْمَعْنَاتِي
وَالْجَاهِلُ مَا يُلْ أَدْرَى لَتُنْقَاتِي
كُلُّ مَا شَفْتُ أَنْقُولُ فِي أَطْرِيزُ لَبَيَّاتٍ
لَكِنْ الْقَوْلُ أَبْلَا حُجَّةَ الْكَهَيْبِ وَمَقِيَّتٍ
دُونُ تَوْضِيحِ أَيُّفَهُنْمَا قَالَلَا الدُّهَاتِ
كُلُّ لَفْظَةٍ تُنْبِي عَنْ مَا أَخْفِيَتْ وَطَوِيَتْ

3. عقد الحماية 30 مارس 1912 وشعر الملحن

بعد تمكن فرنسا من إنهاء جميع خلافاتها الاستعمارية مع القوى الأوروبية المنافسة لها في المغرب، لم يبق لها سوى إعلان الحماية عليه، وهو ما هيأت له الظروف الداخلية التي كان يمر منها المغرب. فقد أدركت فرنسا أن السلطان المولى عبد الحفيظ فقد هيئته ونفوذه بين مواطنيه بسبب انشغاله عن المهمة التي بوع من أجلها ألا وهو واجب الجهاد الذي انزوى إلى ركن اللامفكر فيه أمام الأولويات الحفيفية، إضافة إلى ممارسات حكومته الاستبدادية، وتدني الوضع الاقتصادي. فخبت شعبيته بعد توهج لم يعمر طويلا، لاسيما بعدما ضيق على جريدة لسان المغرب¹، وأقبر الحركة الدستورية وحلم الحكم الديموقراطي بالمغرب مبكرا، وخضوعه للمخططات الفرنسية. ومن هنا كان على فرنسا وضع حد لهذا الوضع، وإنهاء استقلال البلاد سياسيا واقتصاديا، بفرض حمايتها عليها؛ وهو ما تم في 30 مارس 1912م.²

¹ وهي جريدة كانت تصدر في طنجة، نشطها سوريون ولبنانيون، أضافت مشروع دستور وتشكيل مجلس للنواب قدمته للسلطان المولى عبد الحفيظ في عدد 11 أكتوبر سنة 1908، والذي يمكن أن يمنح- حسب الجريدة- حرية الحركة والفكر الضروريين لإنجاز الإصلاحات. وتولدت عن هذه الاقتراحات مطالب كانت تهدف إلى «وضع تعليم ابتدائي إجباري ومجاني، وطرد العملاء والجواسيس، وتعيين رجال أكفاء مؤهلين وشرفاء في مناصب المسؤولية».

² الخديمي، الحركة الحفيفية...، مرجع سابق، ص. 539 - 540.

وقع عقد الحماية السلطان المولى عبد الحفيظ ومبعوث فرنسا أوجين رينيو REGNAULT Eugène ويتكون هذا العقد من تسعة بنود،¹ يمكن تصنيف مضمونها إلى قسمين: يتعلق القسم الأول بالصلاحيات المخولة للإدارة المغربية، والقسم الثاني بالصلاحيات المخولة للإدارة الفرنسية. فبالنسبة للإدارة المغربية، اعترف العقد باحترام المؤسسة السلطانية والشعائر الدينية للمغرب وبالحكومة المخزنية المحلية إلا أن صلاحياتها كانت شكلية. أما الإدارة الفرنسية، فإن عقد الحماية خول لها حق احتلال المغرب عسكريا وإدخال إصلاحات شاملة حسب منظورها، تشمل الجوانب الإدارية والقضائية والاقتصادية والمالية والعسكرية، كما منحتها حق احتلال أية أرض مغربية تراها ضرورية للمحافظة على الأمن والتجارة. كما كفلت المعاهدة لفرنسا حق التمثيل الخارجي، والتفاوض مع إسبانيا حول المغرب، وتحديد مصير طنجة التي أصبحت منطقة دولية. كما نصت المعاهدة على أن ينوب عن فرنسا في المغرب مقيم عام وقائد عسكري، وفي هذا الإطار عينت الجنيرال لوي هوبر غونزالف ليوطي *Louis Hubert Gonzalve LAUTEY* مقيما عاما في المغرب (1912 - 1925م)، والذي لم يتردد في تحديد مفهوم

-
- ¹ تتكون معاهدة الحماية التي فتحت أبواب المغرب أمام المستعمر الفرنسي من تسعة فصول، نتحدث أغلبها عن حماية عرش السلطان، وتفويض صلاحيات واسعة للمسؤولين الفرنسيين.
- الفصل الأول: اتفقت حكومة الجمهورية الفرنسية مع حكومة السلطان الشريف على الإصلاحات الإدارية والقضائية والتربوية والمالية والعسكرية التي تعتبرها الحكومة الفرنسية ناعفة لتطبيقها في المغرب.
 - الفصل الثاني: يعترف صاحب الجلالة الشريفة السلطان من الآن للحكومة الفرنسية بعد مشاورتها للسلطات المخزنية الحق بانتشار قواتها العسكرية على التراب المغربي، كما تعتبرها مهمة للحفاظ على أمن وسلامة شخصه الشريف أو عرشه أو ما يعرض أمن بلاده للخطر. وتشمل المساندة أيضا ولي عهده وسلالته.
 - الفصل الثالث: تتعهد حكومة الجمهورية الفرنسية بمساندة صاحب الجلالة الشريفة بصد كل خطر يمس شخصه الشريف أو عرشه أو ما يعرض أمن بلاده للخطر. وتشمل المساندة أيضا ولي عهده وسلالته.
 - الفصل الرابع: القرارات التي سيطبقها نظام الحماية يصادق عليها السلطان الشريف باقتراح من الحكومة الفرنسية أو من مفوضيها. وهذا يشمل القوانين الجديدة والتعديلات على القوانين الجارية على السواء.
 - الفصل الخامس: يمثل المفوض المقيم العام الحكومة الفرنسية لدى السلطان الشريف، وللمقيم العام كامل الصلاحيات لتطبيق مقتضيات الحماية. والمقيم العام هو الوسيط الوحيد بين السلطان والممثلين الدبلوماسيين الأجانب، كما له كل الصلاحيات في ما يخص الأجانب المقيمين بالمملكة الشريفة.
 - الفصل السادس: المندوبون الدبلوماسيون والقناصل الفرنسيون يمثلون الرعايا المغاربة ويدافعون عن المصالح المغربية في الخارج. فلا يمكن لصاحب الجلالة الشريفة توقيع أي معاهدة دولية بدون موافقة حكومة الجمهورية الفرنسية.
 - الفصل السابع: تتعهد كلا من حكومتى الجمهورية الفرنسية والسلطان الشريف على تطبيق الاتفاق المشترك للإصلاح المالي الضروري لضمان مصالح الدائنين للخزينة الشريفة، وكذا للمحافظة على عائدات الخزينة.
 - الفصل الثامن: يتعهد صاحب الجلالة الشريف ألا يقترض لنفسه أو لغيره مالا عاما أو خاصا دون موافقة الحكومة الفرنسية.
 - الفصل التاسع: هاته المعاهد تصادق عليها حكومة الجمهورية الفرنسية وستبحث بها للسلطان الشريف في أسرع وقت ممكن.

الحماية ويعرفها بأنها ذلك الوضع الذي «يسمح للدولة بالاحتفاظ بمؤسساتها، بحقوقها، بحكومتها، بإدارة شؤونها بنفسها، بأجهزتها الخاصة، تحت رقابة عادية لقوة أوروبية. هذه التي يحلونها مكان البلد المحمي بالنسبة للتمثيل الخارجي، تتكفل عامة بإدارة الجيش، المالية وتوجيه التنمية الاقتصادية. إن الذي يتحكم ويميز هذا المفهوم هو شكل المراقبة المناقض والمتعارض مع صيغة الإدارة المباشرة...»¹ لكن ما حدث في الحقيقة هو أن هذا الطرح، بقدر ما أبقى على المؤسسات التقليدية، بقدر ما خلق ثنائية القديم والحديث، وعمقها في أكثر من مجال.²

لقد عبر المولى عبد الحفيظ عن موقفه من الحماية والحماة وخصوصا المحميين الذين تلاعبوا بمصلحة البلاد، مقابل مصالحهم الشخصية، فلم يقوموا بما تفرضه عليهم أصرة الدين والوطن، فعاثوا في الأرض فسادا. ولم تزجرهم - مع الأسف - الأحكام والعقوبات... وكان تعبيره عن موقفه نثرا في كتابه «داء العطب قديم».³ كما عبر السلطان المولى عبد الحفيظ عن موقفه شعرا بعدة قصائد فصيحة⁴. ولكن لا تكتمل صورة وحقيقة

¹ GUERNIER, Eugène Léonard, *L'Afrique champ d'expansion de l'Europe*, Librairie Armand Colin - Paris, 1933, p. 175.

² المالكي، محمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص. 84.

³ العلوي، مولاى عبد الحفيظ، داء العطب قديم، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، تحت رقم 11400، وتوجد نسخة أخرى بالخزانة نفسها تحت رقم 12160.

ففي خضم أزمة المولى عبد الحفيظ ومن خلالها أزمة مغرب ما قبل الحماية، وضع هذا السلطان تقييدا في السياسة أسماء ب «داء العطب في المغرب قديم». وهو وثيقة بقدر ما هي تجربة كتابية سلطانية بأهمية تاريخية كبيرة تجاه فترة دقيقة من جهة، بقدر ما هي بأبعاد كثيرة ومن داخل جهاز المخزن من جهة ثانية. وقد ذكر السلطان المولى عبد الحفيظ أن القصد منه «هو البحث عن الأسباب التي كانت سببا لاضمحلال المغرب ومتى كانت، بعد أن يعلم القارئ أن الغرض من هذا التقييد هو تتبع سيرة الأجداد وما فعلوا من المصالح الدنيوية والأخروية، لأن ذلك مثبت في محله في عدة تواريخ، وإنما المقصود هو التنبيه على ما طرأ عليهم من الحوادث التي صدمتهم عن تتبع أوائلهم في السهر عن السياسة الخارجية حتى قبلوا شروط الدول الأجنبية». انظر:

- العلوي، مولاى عبد الحفيظ، مصدر سابق، ص. 2.

ومما لا شك فيه أن هذا التقييد الذي جاء بعد عقد الحماية هو وقفة تأمل عميقة وصريحة تجاه ما حدث، وهو ما يتبين عندما قال: «ثم اني لم أخرج من فاس بعد عزمي الأكيد على التنازل، حتى صار أحد قضائها يجعل يد القنصل على قلبه ويخاطبه بقوله أحبك أن تجعلني مثل قميصك وأنا أحبك فأحبك أن تحبني لمحبتك لك، والأمر فمن لا يستغني بالله لا أغناه الله أبدا». انظر:

- القدوري، عبد المجيد، قراءة لأزمة مطلع القرن العشرين من خلال مخطوط داء العطب قديم للمولى عبد الحفيظ، مجلة أبحاث، العدد 21، السنة 5، صيف 1989، ص - ص. 31 - 46.

⁴ من هذه القصائد، نذكر:

- قصيدة الطامة الكبرى.

- قصيدة لُسُغ العقارب والأفاعي في إفشاء من كان قبيح المساعي.

الموقف الحفيظي من خلال نثره وشعره الفصيح، إلا بالاطلاع على شعره الملحون ودراسته.¹
يقول السلطان/الشاعر في حربة أول قصيدة افتتح بها ديوانه المطبوع على الحجر:

بِالنَّبِيِّ وَأَصْحَابُو وَكِرَامِهَا وَلِفَضَالِ ۞ غَيْثُ هَذَا الْعَرَبِ وَطَرْدُ كُلِّ ضَالِي
هَكَذَا حَالُ الْوَقْتِ وَمَا أَخْفَاكَ مَقُولِ ۞ وَطَبَايَعُ الْخَلْقِ أَقْضَاتُ ابْنِهِوَالِي
وَالِدَيْنِ ابْغُرْبَةَ نَكْسَاوَزَادَتُو أَوْحَالَ ۞ وَاللِّي يَتَعَقَّفُ يُدْعَى بِالْمَحَالِي (...)
ضَاقَ مَذْهَبُ الْحَقِّ وَبَانَ كُلُّ مُخْتَالِ ۞ كَانَ يَرِصِدُ الْوَقْتِ الَّذِي يُكُونُ تَالِي
مَا أَوْفَاوْ أَبُوكَدَ لِعَهْدِ نَاسٍ لِحَيَالِ ۞ وَلَا ادْعَاوُ الْحُرْمَةَ لِحَفَادٍ وَلِقِيَالِي
حَالَهُمْ انْمَثَلُ حَرْبَةً افْطَرَزْ لِفَعَالِ ۞ مَا اتَّكَيْدُ تَجَبَّرُ ارْجَالُ ابْلَمْعَالِي
اتَشَوْفُهُمْ افْتَقْوِيْمُ الْجَسَدِ نَاسٍ عُقَالَ ۞ حِينَ يَنْطَلِقُ اتَّظُنُّ امْثِيلُ بَرْتَقَالِي
مَا سَمِعُوا بِالْحَدِيثِ مَا فَقَّهُوْا تَنْزِيلِ ۞ وَلَا يَدْرِوْا فَنَ مَعْنَى افْتَرْتِيلَا
نَحْكِمُهُمْ كَحْمِيرٍ بِحُمُولِ اثْقِيلَا
غَرَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَوْلَا ادْرَاوْ لِمَالُوْلِيهِمْ ۞ مَا سَمِعُوا مَا فَاتَ فِي الْأَجْيَالِي
زَادَ لَهُمْ حُبَانٌ فَلَفَانِيَّةُ فَاَلْأَعْمَالِ ۞ مَا اقْرَاوُ الْحُرْمَةَ لِلنَّائِرِ بَلْقُوَالِي²

- قصيدة في الحماية والحماة (قصيدة ميمية).

- قصيدة ثائية في نفس الموضوع.

انظر:

- الجراري، عبد الله، شذرات تاريخية من 1900 إلى 1950، الدار البيضاء، 1976، ص - ص. 32 - 38.
- كنون، عبد الله، السلطان مولاي حفيظ والحماية، مجلة دعوة الحق، عدد 234، مارس 1984، ص. 7 - 10.
¹ اعتنى السلطان المولى عبد الحفيظ اعتناء كبيرا بفن الملحون، بل برع في نظمهِ. وكان مجلسه وهو خليفة لأخيه المولى عد العزيز على مراكش يضم مشاهير الأشياخ من نظامة مثل حسن ابن شقرون، والفقيه الدفالي، ومن الحفاظ كالحاج أحمد الزغبات ومولاي أبيه البيطار. ولما بويغ وذهب إلى فاس، كان من جلسائه: الهادي بناني، والحاج الجيلالي ولد غزالة (حفاظ مراكشي)، وجاء عنده كذلك من مراكش حسن ابن شقرون، والحاج أحمد الزغبات، ومولاي الحاج العصيدة. ولما طلع للحج بعد تنازله عن عرش المملكة اصطحب معه الحاج أحمد الزغبات ومولاي الحاج العصيدة والحاج الجيلالي ولد غزالة. انظر:
- الفاسي، معلمة الملحون، مرجع سابق، ج.2، القسم الثاني تراجم شعراء الملحون، ص. 306.
² العلوي، مولاي عبد الحفيظ، موسوعة الملحون (ديوان السلطان مولاي عبد الحفيظ)، جمع وإعداد لجنة الملحون التابعة لأكاديمية المملكة المغربية، إشراف وتقديم عباس الجراري، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2014، ص - ص. 63 - 65.
ويقال هذين البيتين الأخيرين ما ورد في قصيدته لسع العقارب والأفاعي عن الحماية والمحميين ومن تخلوا عن الجهاد.

خاتمة

يبدو مما تقدم أن السلطان المولى عبد الحفيظ كانت له مواهب شعرية بالعامية المغربية إضافة إلى تلك التي كانت له بالفصحى. كما يبدو من خلال النماذج الشعرية الواردة عن هذا السلطان، أن الشعر الملحون قام بتغطية النقص الحاصل في ثنايا المصادر التاريخية خصوصا فيما يتعلق بمرحلة تاريخية حرجة وهي فترة الحماية وبداية التحرش الفرنسي بالمغرب، حيث أفرغ شاعر الملحون فيه -ومن ضمنهم المولى عبد الحفيظ- ما كان يجول في نفسه وقلبه وعقله، من ألم وحسرة على من باعوا دينهم بدنياهم، وتقاعسوا في أمر الجهاد، وعلى من تقولوا فيه والمتجنين عليه، فنعتوه بالخيانة والمضاربة بالمصلحة العليا للوطن. ويبقى سؤال الباحثين حول من كان مسؤولا عما حدث مطلع القرن الماضي الى غاية أزمة حماية عقدت في ظروف غامضة، ويبقى سؤال المؤرخين أيضا عن حياة منفي وعن لغز وفاة سلطان جهاد قال يوما داء عطب المغرب قديم... ومن هنا يظهر مدى ارتباط هذا الجنس الأدبي بالقضايا الوطنية التي يعيش لها شعب يريد الاحتفاظ بمقوماته النفسية وذخيرته الروحية وطابعه الأصيل.

أمر بالقتال وجل قومي ☞ يرى أن الحماية فرض عين
أمر بالقتال ومال قومي ☞ تلاشى في لئاذ خصلتين
بإسراف النكاح وشر أكل ☞ فلا ترجى الكنوز لغير دين
وإن أدعى الجبان لعجز قومي ☞ فمن قاسى جيوش القصبين؟

- خيالي، مرجع سابق، ص. 90.

الببليوغرافيا :

- ابن زيدان، عبد الرحمن بن محمد، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر، المكتبة الثقافية الدينية - القاهرة 2008.
- نفس المؤلف، الدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية. الرباط 1937.
- الباقلائي، أبو بكر بن الطيب، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والروافض والخوارج والمعترضة، تحقيق محمود الخصري، دار الفكر العربي، دون تاريخ.
- التوفيق، أحمد، تأملات في البيعة الحفيظية، أعمال الجامعة الصيفية المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912، المحمدية. يوليو 1987، ج 2، صص 335 - 347.
- الجراري، عبد الله، شذرات تاريخية من 1900 إلى 1950، الناشر غير محدد، الدار البيضاء 1976.
- الحجوي، محمد بن الحسن، انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم ح 123.
- الخديمي، علال، الحركة الحفيظية أو المغرب قبل فرض الحماية الفرنسية، الوضعية الداخلية وتحديات العلاقات الخارجية 1894 - 1912، دار أبي رقراق. الرباط 2009.
- خيالي، عبد المجيد، السيرة الببليوغرافية للمولى عبد الحفيظ بن الحسن العلوي سلطان المغرب (1907 - 1912)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر - الرباط 2014.
- زنيبر، محمد، أمثال الأندلس، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، العدد 1، سنة 1، يناير 1977، صص 251 - 271.
- العلوي، مولاي عبد الحفيظ، داء العطب قديم، مخطوط الخزانة الحسنية - الرباط، تحت رقم 11400.
- نفس المؤلف، موسوعة الملحن ديوان السلطان (مولاي عبد الحفيظ)، جمع وإعداد لجنة الملحن التابعة لأكاديمية المملكة المغربية، إشراف وتقديم عباس الجراري، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية - الرباط 2014.
- الفاسي، محمد، معلمة الملحن، أكاديمية المملكة المغربية بالرباط 1986 - 1997.

- القدوري، عبد المجيد، قراءة لأزمة مطلع القرن العشرين من خلال مخطوط داء العطب قديم للمولى عبد الحفيظ، مجلة أبحاث، العدد 21، السنة 5، صيف 1989، صص 31 - 46.
- الكتاني، محمد الباقر، ترجمة الشهيد محمد الكتاني، دار ابن حزم. الرباط 1962.
- كنون، عبد الله، السلطان مولاي حفيظ والحماية، مجلة دعوة الحق، عدد 234، مارس 1984، صص 7 - 10.
- المالكي، محمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت 1994.
- المنوني، محمد، الكناشات المغربية ودورها في الكشف عن الدفائن التاريخية، مجلة المناهل، العدد 2، السنة 2، مارس 1975، صص 196 - 232.
- نفس المؤلف، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى العصر الحديث، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط 1983.
- نفس المؤلف، المصادر التاريخية للمغرب الشرقي في القرن 19م، ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - وجدة، 1986م، صص 404 - 410.
- نفس المؤلف، مظاهريقطة المغرب الحديث، شركة النشر والتوزيع المدارس. الدار البيضاء 1985.
- نفس المؤلف، ركب الحاج المغربي، نشر معهد مولاي الحسن. تطوان 1953.
- مؤلف لعلماء مراكش في مشروعية قيام المولى عبد الحفيظ على أخيه وبيعته، مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم د 3937.
- الوزاني، محمد حسن، الحماية جناية على الأمة، ترجمة أحمد بنجلون، نشر مؤسسة محمد حسن الوزاني. فاس 1994.
- GUERNIER, Eugène Léonard, *L'Afrique champ d'expansion de l'Europe*, Librairie Armand Colin, Paris, 1933.
- LAROUÏ, Abdellah, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme Marocain (1830 - 1912)*, Casablanca, 1993.

RIVAGES

Revue scientifique à comité de lecture

N° 7-2022

Revue semestrielle, scientifique à comité de lecture, éditée par la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Cadi Ayyad – Marrakech - Maroc

Directeur

Doyen de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines
Abderrahim BENALI

Coordination générale

Jamal RACHAK

Comité Scientifique

GRAVARI BARBAS Maria, IREST, Université Paris 1 Panthéon-Sorbonne, France, **ELLOUMI Mohamed**, INRAT, Tunisie, **LAOUNA Abdellah**, CERGéo, Université Mohamed V Rabat, **DEBARBIEUX Bernard**, Université de Genève, Suisse, **NAVARRO PALAZON Julio**, Escuela de Estudios Arabes des Granada, CSIC, Espagne, **SKOUNTI Ahmed**, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, **GIRAUT Frédéric**, Département de Géographie, Université de Genève, Suisse, **HERNANDEZ ARMENTEROS Salvador**, Universidad de Granada, Espagne, **BOUBRIK Rahal**, Département de Sociologie, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Mohamed V de Rabat, **TOZY Mohamed**, UMRVIP et Sciences po, Aix en Provence, France, **PULVAR Olivier**, Université Antilles-Guyane, Centre de Recherche sur les Pouvoirs Locaux dans la Caraïbe – CNRS UMR 8053, **HILLALI Mimoun**, Institut Supérieur International de Tourisme, Tanger, Maroc, **PERALDI Michel**, directeur de recherche au CNRS et Centre Jacques Berque pour le développement des Sciences Sociales à Rabat (Maroc), **BOUMAZA Nadir**, Université Pierre MENDES France- Grenoble 2, **LANDEL Pierre – Antoine**, CERMOSEM, UJF, Mirabel – France, **PECQUEUR Bernard**, Institut de Géographie Alpine, PACTE (UMR CNRS 5194 – Université J. Fourier, Grenoble – France).

Comité de Rédaction :

Abderrahim BENALI - Jamal RACHAK
Mohamed MOUHOU - Said BOUJROUF.

Adresse

Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, B.P. 3737
Amerchich – Marrakech 40000 Maroc
Site web. <http://www.flm.uca.ma.ac> - Email : revueflm@gmail.com
Tél. 00212524302742 - Fax 00212524302039

Dépôt Légal : 2018PE0010

ISSN : 2605-6410

Le tableau en couverture est de l'artiste peintre Mahi Binebine.

Les contenus des textes publiés dans la revue n'engagent que leurs auteurs.



MARRAKECH

جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

Revue des Sciences Humaines

RIVAGES

Revue scientifique à comité de lecture



N° 7 - 2022